شرح الأربعين النووية

الحديث الخامس

مَنْ أَحْدَثَ فِيْ أَمْرِنَا

اللقاء الثامن

الحديث الخامس:

عَنْ أُمِّ المُؤمِنِينَ أُمِّ عَبْدِ اللهِ عَائِشَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا – قَالَتْ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ: "مَنْ أَحْدَثَ فِيْ أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ" رواه البخاري ومسلم، وفي رواية لمسلم "مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ"

ترجمة الراوي:

عَائِشَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: هي الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق، أبي بكر رضي الله عنهما، عبد الله بن أبي قحافة، القرشية، التيمية، المكية.

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق، كانت من أحب نسائه إليه –ﷺ– بعد خديجة رضي الله عنها، لم يتزوج النبي –ﷺ– بِكرًا غيرها، وكانت تصوم الدهر، صاحبة كرم وزهد، وفقه وعلم، وحفظ وفصاحة، وروت للأمة علماً كثيراً وفقهاً غزيراً، فهي رضي الله عنها من المحدثات، ومن الفقيهات.

قال الذهبي: هي أفقه نساء الأمة على الإطلاق.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن الرسول –ﷺ– قال: " كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ علَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ علَى سَائِرِ الطَّعَامِ". رواه بخاري

وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: "ما أشكل علينا حديث قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علمًا".

وقال الزهري: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبي -ﷺ- وجميع علم النساء كان علم عائشة أكثر، روي لها 2210 أحاديث.

ويكفي أنَّها عقَلَتْ من النبيِّ -ﷺ- ما لم يَعقِلْ غيرُها من النساءِ ورَوَتْ ما لم يرَوِ مِثلُها مِن الرِّجالِ.

"عَنْ أُمِّ المُؤمِنِينَ أُمِّ عَبْدِ اللهِ عَائِشَةَ": كُنّيَتْ عائشة رضي الله عنها بأم المؤمنين: لأنها إحدى زوجات النبي -ﷺ-، وجميع أمهات المؤمنين تكنى بهذه الكنية، كما قال الله عزّ وجل: (وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) [الأحزاب: 6]

وقوله: أُمِّ عَبْدِ اللهِ هذه كنية، وهل وُلِدَ لها - رضي الله عنها - ولدٌ أم لا؟ وأم عبد الله: هذا ما كناها به سيد المرسلين عليه صلوات الله والناس أجمعين عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: " لَمَّا وُلِد عبدُ اللهِ بنُ الزُّبيرِ أتَيْتُ به النَّبيَّ -ﷺ- فتفَل في فيه فكان أوَّلَ شيءٍ دخَل جوفَه وقال: (هو عبدُ اللهِ وأنتِ أمُّ عبدِ اللهِ) فما زِلْتُ أُكْنى بها وما ولَدْتُ قطُّ " صحيح ابن حبان

وقوله: عَائِشَةَ هذا اسم أُم المؤمنين (العلم)، وعرفت عائشة رضي الله عنها بعدة ألقاب، ومنها: الصِّديقة والحميراء ما روى أن رسول الله -ﷺ- نادى حبيبته عائشة - رضي الله عنها - بالحميراء، روت أم المؤمنين عائشة، قالت: " دخلتِ الحبشةُ المسجدَ يلعبون في المسجدِ، فقال: يا حُمَيْراءُ، أتُحِبِّين أن تنظري إليهم؟ فقلتُ: نعم. فقام بالبابِ، وجئته فوضَعتُ ذَقَنِي على عاتِقِه، وأَسْنَدْتُ وجهي إلى خَدِّه، قالت: ومِن قولِهم يومئذٍ: أبَا القاسم طيِّبًا. فقال رسولُ اللهِ -ﷺ-: حَسْبُكِ. فقُلْتُ: لا تَعْجَلِ يا رسولَ اللهِ. فقامَ لي، ثم قال: حَسْبُكِ. قلتُ: لا تَعْجَلْ يا رسولَ اللهِ. قالت: وما لي حبُّ النظرِ إليهم؛ ولكني أَحْبَبْتُ أن يَبْلَغَ النساءَ مقامُه لي ومكاني منه ". السلسة الصحيحة

وعائش كما في الصحيحين عن عائشة، قالت: قال رسول الله -ﷺ-:"يا عائِشَ هذا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلامَ قُلتُ: وعليه السَّلامُ ورَحْمَةُ اللَّهِ، قالَتْ: وهو يَرَى ما لا نَرَى".

خطب النبي -ﷺ-عائشة رضي الله عنها عندما كانت ابنت سبع سنوات، وكان النبي يسعد عند ذهابه إليها، فكلّما اشتدت أزماته ذهب عندها؛ فقد كان مرحها ودعابتها تُنسيان الرسول همومه، وبعد الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة، تبعت عائشة (العروس المهاجرة) بالنبي، وفي تلك الأثناء

اجتمع النبي بأم المؤمنين عائشة، وعمّت الفرحة في أرجاء البلاد؛ إذ كان المسلمون سعيدين بانتصارهم في غزوة بدر الكبرى، واكتملت الفرحة بزواج النبي من عائشة، وكان هذا الزواج في شهر شوال من السنة الثانية للهجرة، ويُشار إلى أنَّ عائشة كانت ابنت تسع سنوات عند زواجها من النبي، ويُذكر أنَّ عائشة مكثت بعد زواجها تلعب فترة من الزمن؛ وذلك بسبب صغر سنها، أنَّ النَّبيَّ قالَ لها يومًا : ما هذا ؟ قالَت: بَناتي قال: ما هذا الَّذي في وسْطِهِنَّ؟ قالَت: فرسٌ قال: ما هذا الَّذي علَيهِ؟ قالَت جَناحانِ قال: فرَسٌ لها جَناحانِ؟ قالَت: أوَ ما سمِعتَ أنَّهُ كانَ لسُلَيمانَ بنَ داودَ خيلٌ لَها أجنِحَةٌ فضحِكَ رسولُ اللهِ حتَّى بدَت نواجِذُهُ.

📂كان رسول الله –ﷺ– يصرح بحبها كما ورد في حديث عمرو بن العاص – رضي الله عنه – حيث سأله" أيُّ النَّاسِ أحَبُّ إلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشَةُ، فَقُلتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: أبُوهَا". بخاري

📂ومما اشتهرت به عائشة رضي الله عنها غيرتها الشديدة على النبي –ﷺ–، التي كانت دليلاً صادقاً وبرهاناً ساطعاً على شدّة محبّتها له، وقد عبّرت عن ذلك بقولها له–ﷺ–: " وَما لي لا يَغَارُ مِثْلِي علَى مِثْلِكَ؟ " رواه مسلم.

📝وقد اشتهرت – رضي الله عنها – بالحياء والورع الشديدين حتى أنها كانت تستحي من عمر رضي الله عنه وهو في قبره، ولعل خير مثال يبين ذلك ما روته عائشة – رضي الله عنها – بقولها: كنت أدخل بيتي الذي دفن فيه رسول الله –ﷺ– وأبي فأضع ثوبي فأقول: إنما هو زوجي وأبي، فلما دفن عمر معهم، فوالله ما دخلت إلا وأنا مشدودة علي ثيابي حياء من عمر.

📝وكانت رضي الله عنها كريمة كرمًا مميزًا حتى أنها تنفق آلاف الدراهم دون أن تدخر لنفسها دراهم معدودة للطعام والشراب، فعن أم ذرة قالت: (بعث ابن الزبير إلى عائشة بمال في غرارتين يكون مائة ألف، فدعت بطبق، وهي يومئذ صائمة، فجعلت تقسم في الناس، قال: فلما أمست قالت: يا جارية هاتي فطري، فقالت أم ذرة: يا أم المؤمنين أما استطعت فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحما تفطرين عليه؟ فقالت: لا تعنفيني لوكنت أذكرتني لفعلت).

📝توفيت بالمدينة وعمرها ست وستون سنة، ودفنت بالبقيع سنة 58 هـ رضي الله عنها.

قَالَ رَسُوْلُ اللهِ–ﷺ–:"مَنْ أَحْدَثَ فِيْ أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ" رواه البخاري ومسلم، وفي رواية لمسلم "مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ".

منزلة الحديث:

قال ابن حجر العسقلاني – رحمه الله –: هذا الحديث معدود من أصول الإسلام، وقاعدة من قواعده، وقال: يصلح أن يسمى نصف أدلة الشرع.

قال النووي – رحمه الله –: إنه قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وإنه من جوامع كلمه –ﷺ–؛ فإنه صريح في رد البدع والمخترَعات، وهو مما يعتنى بحفظه واستعماله في إبطال المنكرات.

قال السعدي – رحمه الله –: هذان الحديثان العظيمان يدخل فيهما الدين كله، أصوله وفروعه، ظاهره وباطنه، فحديث عمر ((إنما الأعمال بالنيات...)) ميزان للأعمال الباطنة، وحديث عائشة ميزان للأعمال الظاهرة، ففيهما الإخلاص للمعبود، والمتابعة للرسول، اللذان هما شرط لكل قول وعمل، ظاهر وباطن.

شرح الحديث:

"مَنْ أَحْدَثَ فِيْ أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ" (من) شرطية. و: (أحدث) فعل الشرط، وجواب الشرط: (فهو رد)

مَنْ أَحْدَثَ: من أوجد شيئًا لم يكن (أنشأ واخترع من قِبل نفسه وهواه).

فِيْ أَمْرِنَا: أي في ديننا وشريعتنا الذي ارتضاه الله لنا.
مَا لَيْسَ مِنْهُ: أي ما لم يشرعه الله ورسوله "ما ليس له مستند من الكتاب والسنة".
فَهُوَ رَدٌّ: مردود على فاعله؛ لبطلانه وعدم الاعتداد به.

فإنه مردود عليه حتى وإن صدر عن إخلاص، وذلك لقول الله تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ) [البينة:5]، فهذا الشرط الأول لقبول العمل الإخلاص، إذا لم يأتي بالشرط الثاني وهو المتابعة فلا يقبل عمله.

وفي روايةٍ لمسلم: "مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهوَ رَدٌّ" وهذه الرواية أعم من رواية مَنْ أَحْدَثَ ومعنى هذه الرواية: أن من عمل أي عمل سواء كان عبادة، أو كان معاملة، أو غير ذلك ليس عليه أمر الله ورسوله فإنه مردود عليه.

قال السعدي – رحمه الله –: إن كل عبادة فعلت على وجه منهي عنه فإنها فاسدة؛ لأنه ليس عليها أمر الشارع، وإن النهي يقتضي الفساد، وكل معاملة نهى الشارع عنها فإنها مُلغاةٌ لا يعتد بها.

وقال النووي – رحمه الله –: وفيه دليل على أن العبادات من الغسل والوضوء والصوم والصلاة إذا فعلت على خلاف الشرع، تكون مردودة على فاعلها.

وهذا الحديث أصل من أصول الإسلام، دل عليه قوله تعالى: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) [الأنعام: 153] وكذلك الآيات التي سقناها دالة على هذا الأصل العظيم.

وقد اتفق العلماء – رحمهم الله – أن العبادة لا تصح إلا إذا جمعت أمرين:
أولهما: الإخلاص.
والثاني: المتابعة للرسول –ﷺ–.

⇦والمتابعة لا تتحقق إلا إذا كان العمل موافقاً للشريعة في أمور ستة: سببه، وجنسه، وقدره، وكيفيته، وزمانه، ومكانه.

⇦فإذا لم توافق الشريعة في هذه الأمور الستة فهو باطل مردود، لأنه أحدث في دين الله ما ليس منه.

❶أولاً: أن يكون العمل موافقاً للشريعة في سببه: وذلك بأن يفعل الإنسان عبادة لسبب لم يجعله الله تعالى سبباً.

❍مثال: أن يصلي ركعتين دخول السنة الهجرية أو الميلادية، مع أن الصلاة أصلها مشروع، لكن لما قرنها بسبب لم يكن سبباً شرعياً صارت مردودة.
❍مثال آخر: لو أن أحداً أحدث عيداً لانتصار المسلمين في بدر، فإنه يرد عليه، لأنه ربطه بسبب لم يجعله الله ورسوله سبباً.

❍مثال آخر: تخصيص النصف من شعبان بصيام أو قيام، وعن أسامة بن زيد، قال: قلت: يا رسولَ اللَّهِ! لم ارك تَصومُ شَهْرًا منَ الشُّهورِ ما تصومُ من شعبانَ؟! قالَ: ذلِكَ شَهْرٌ يَغفُلُ النَّاسُ عنهُ بينَ رجبٍ ورمضانَ، وَهوَ شَهْرٌ تُرفَعُ فيهِ الأعمالُ إلى ربِّ العالمينَ، فأحبُّ أن يُرفَعَ عمَلي وأَنا

صائمٌ. وحسنه الألباني، ورد أن الأعمال ترفع في شهر شعبان ولم يذكر فيه النصف، وأحدثت الناس بتخصيص النصف بالصيام والقيام.

ثانياً: أن يكون العمل موافقاً للشريعة في الجنس، فلو تعبّد لله بعبادة لم يشرع جنسها فهي غير مقبولة

❍مثال ذلك: لو أن أحداً ضحى بفرس، فإن ذلك مردود عليه ولا يقبل منه، لأنه مخالف للشريعة في الجنس، إذ إن الأضاحي إنما تكون من بهيمة الأنعام وهي: الإبل، والبقر، والغنم.

⇦أما لو ذبح فرساً ليتصدق بلحمها فهذا جائز، لأنه لم يتقرب إلى الله بذبحه وإنما ذبحه ليتصدق بلحمه.

ثالثاً: أن يكون العمل موافقاً للشريعة في القدر: فلو تعبد شخص لله عزّ وجل بقدر زائد على الشريعة لم يقبل منه، ومثال ذلك: رجل توضأ أربع مرات أي غسل كل عضو أربع مرات، فالرابعة لا تقبل، لأنها زائدة على ما جاءت به الشريعة، بل قد جاء في الحديث أن النبي -ﷺ- توضأ ثلاثاً وقال:" مَنْ زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَقَدْ أَسَاءَ وَتَعَدَّى وَظَلَمَ".

رابعاً: أن يكون العمل موافقاً للشريعة في الكيفية: فلو عمل شخص عملاً، يتعبد به لله وخالف الشريعة في كيفيته، لم يقبل منه، وعمله مردود عليه.

❍ومثاله: لو أن رجلاً صلى وسجد قبل أن يركع، فصلاته باطلة مردودة، لأنها لم توافق الشريعة في الكيفية.

❍وكذلك لو توضأ منكساً بأن بدأ بالرجل، ثم الرأس، ثم اليد، ثم الوجه فوضوؤه باطل، لأنه مخالف للشريعة في الكيفية.

خامساً: أن يكون العمل موافقاً للشريعة في الزمان: فلو صلى الصلاة قبل دخول وقتها، فالصلاة غير مقبولة لأنها في زمن غير ما حدده الشرع.

❍ولو ضحى قبل أن يصلي صلاة العيد لم تقبل لأنها لم توافق الشرع في الزمان.
❍مثال: رجل صلى نفلاً بغير سبب في أوقات النهي، فعمله هذا مردود لأنه منهي عنه لنفسه.

❍مثال: صام رجل عيد الفطر أو أيام التشريق، فصومه هذا مردود لأنه منهي عنه لنفسه.

❍ولو أن أحداً أخّر العبادة المؤقتة عن وقتها بلا عذر كأن صلى الفجر بعد طلوع الشمس غير معذور، فصلاته مردودة، لأنه عمل عملاً ليس عليه أمر الله ورسوله.

سادساً: أن يكون العمل موافقاً للشريعة في المكان: فلو أن أحداً اعتكف في غير المساجد بأن يكون قد اعتكف في المدرسة أو في البيت، فإن اعتكافه لا يصح لأنه لم يوافق الشرع في مكان الاعتكاف، فالاعتكاف محله المساجد.

📌فانتبه لهذه الأصول الستة وطبق عليها كل ما يرد عليك.
وهذه أمثلة على جملة من الأمور المردودة لأنها مخالفة لأمر الله ورسوله.
📂أما في المعاملات:

❍المثال الأول: من باع أو اشترى بعد الأذان الثاني يوم الجمعة وهو ممن تجب عليه الجمعة فعقده باطل، لأنه مخالف لأمر الله ورسوله.

❍المثال الثاني: لو تزوج بلا ولي فالزواج باطل، لأن النبي -ﷺ- قال: (لاَ نِكَاحَ إِلاَّ بِوَلِيّ).

المثال الثالث: رجل باع أوقية ذهب بأوقية ونصف، فهذا البيع باطل، لأن النبي -ﷺ- قال" لا تَبِيعُوا الذَّهَبَ بالذَّهَبِ إِلَّا سَواءً بسَواءٍ، والفِضَّةَ بالفِضَّةِ إِلَّا سَواءً بسَواءٍ"صحيح البخاري

رواية مسلم: "مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ"

📂منطوق الحديث: أنه إذا لم يكن عليه أمر الله ورسوله فهو مردود، وهذا في العبادات لا شك فيه، لأن الأصل في العبادات المنع حتى يقوم دليل على مشروعيتها.

📝فلو أن رجلاً تعبد لله عزّ وجل بشيءٍ وأنكر عليه إنسان، فقال: ما الدليل على أنه حرام؟ فالقول قول المنكر فيقول: الدليل: هو أن الأصل في العبادات المنع والحظر حتى يقوم دليل على أنها مشروعة.
📝أما غير العبادات فالأصل فيها الحل، سواء من الأعيان، أو من الأعمال فإن الأصل فيها الحل.

❍مثال الأعيان: رجل صاد طيراً ليأكله، فأُنكر عليه، فقال: ما الدليل على التحريم؟ فالقول قوله هو، لأن الأصل الحل كما قال الله تعالى:(هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً) [البقرة: الآية29].

❍ومثال الأعمال: غير العبادات الأصل فيها الحل، مثال ذلك: رجل عمل عملاً في بيته، أو في سيارته، أو في لباسه أو في أي شيء من أمور دنياه.

🗁 فعليه فنقول: الأقسام ثلاثة:
الأول: ما علمنا أن الشرع شرع من العبادات، فيكون مشروعاً.

الثاني: ما علمنا أن الشرع نهى عنه، فهذا يكون ممنوعاً.

الثالث: ما لم نعلم عنه من العبادات، فهو ممنوع.

🗁أما في المعاملات والأعيان: فنقول هي ثلاثة أقسام أيضاً:

❍الأول: ما علمنا أن الشرع أذن فيه، فهو مباح، مثل أكل النبي صلى الله عليه وسلم من حمر الوحش. .
❍الثاني: ما علمنا أن الشرع نهى عنه كذات الناب من السباع، فهذا ممنوع.
الثالث: ما لم نعلم عنه، فهذا مباح، لأن الأصل في غير العبادات الإباحة.

🗊والبدعُ في الدين نوعان:

🗊بدعٌ في الاعتِقاد؛ كبدعة الرافضة والجهمية، والخوارج والمعتزلة، وغيرهم من الفِرَق الضالَّة.

🖳ومن خطر البدع الاعتقادية الكفرية شركية لو مات صاحبها عليها ولم يتب إلى الله منها مات كافراً وجزاؤه يوم القيامة نارُ جهنم خالداً فيها أبد الآباد ودهر الداهرين، مثل بدعة الطواف بالقبور ودعاء أهلها من دون الله في جلب المنافع والطيبات، ودفع البلاء والمكروه قبل نزوله، ورفع البلاء والمكروه بعد نزوله، والتقرب لأصحاب القبور بالنذر والذبح لها من دون الله، وحصول كثير من المنكرات والأفعال التي تدل على ضعف تلك العقول وجهلها.

وبدعٌ في العبادة: وهي نوعان:

إما أنها عبادةٌ محدثة وليس لها أصلٌ في الدِّين؛ كالأعياد والاحتفالات مهما اختلفت أنواعها وأهدافها ومسمياتُها، وإن قيل أنها للتذكر والاعتبار، أو للاستعانة بها على طاعة الله وشكر نعمته، فالعبرةُ بالحقائق والمعاني لا بالدعاوى.

وهذه الغارَةِ الأجنبيّة الكاسِحَة، حتى يُفقِد بعضَ المسلمين هويّتَهم وتميّزَهم الخلقي والعقديّ، ذَكَرَه المصطفى –ﷺ– بقولِه: ((لتركَبنّ سَننَ من كان قَبلَكم حَذوَ القذّة بالقذّة، حتى لَو دَخَلوا جحرَ ضبٍّ لدخلتُموه))، قالوا: يا رسولَ الله، اليَهود والنصارى؟ قال: ((فمن؟!)) رواه البخاريّ ومسلم

"عيد الحبّ" أو "عيد الأمّ" أو ما شاكَل ذلك....

أو أن تكون العبادةُ مشروعةً في الأصل؛ لكنَّ المبتدع زاد فيها، أو قيدها بزمن أو مكان لم يرد فيه نص شرعي، والقاعدة عند أهل العلم: (أن العبادة توقيفية، وأنَّ تقييدها بزمان أو مكان لم يرد فيه نص شرعي يعتبر من البدع).

بيان خطر البدع:

لقد حذَّر العلماء من البدعة، وبيَّنوا أنها شرٌّ من المعصية؛ لأن صاحِب البدعة يعتقد أنه يتقرَّب بها إلى الله، أمَّا صاحب المعصية فيعرف أنها معصية، وغالبًا ما يؤنِّبه ضميره إذا صحا، فيستغفر ويتوب إلى الله تعالى، وقد روي عن سفيان الثوري رحمه الله: "إن البدعة أحبُّ إلى إبليس من المعصية؛ لأنَّ البدعة لا يُتاب منها والمعصية يُتاب منها"؛ [التحفة العراقية في الأعمال القلبية (ص12)].

فالبدعة في الدين من أخطر الأمور على الإنسان؛ لأنه يعتقدها ويحبها ويعملها على أنها عمل صالح وقربة إلى الله، فرجوعه عنها من أصعب الأمور؛ وأما المعصية فإن الإنسان يعملها وهو يقر بذنبه وخوفه من الله وأنه على خطأ، فرجوعه عن المعصية أمر يسير.

قال أرطاة بن المنذر – رحمه الله -: لأن يكون ابني فاسقا من الفساق أحب الي من أن يكون صاحب هوى.

فيحدثون البدع ويظنونها من الدين، ولا يعترفون أنهم قد ارتكبوا جرما عظيما.

وقال سعيد بن جبير – رحمه الله -: لأن يصحب ابني فاسقا، شاطرا، أحب إلي من أن يصحب عابدا مبتدعا.

وقال الشافعي – رحمه الله -: لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير من أن يلقاه بشيء من الهوى.

من أخطار البدع وأضرارها:

❶ أنها موجبةٌ لرد العمل وعدم قبوله مهما كثُر العمل وتعدَّد وكبُر، وقد جاء في الصحيح عن نبينا -ﷺ- أنه قال: "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ"، وفي رواية: "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ" أي مردودٌ على صاحبه غير مقبولٍ منه.

ومنها ما رواه ابن وضاح في "البدع" عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ قَالَ: " مَرَّ عَبْدُ اللَّهِ بِرَجُلٍ يَقُصُّ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى أَصْحَابِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: سَبِّحُوا عَشْرًا، وَهَلِّلُوا عَشْرًا، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: " إِنَّكُمْ لَأَهْدَى مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ -ﷺ- أَوْ أَضَلُّ، بَلْ هَذِهِ بَلْ هَذِهِ " يَعْنِي: أَضَلُّ ".

❷أنها موجبةٌ لضياع السُّنن وخفائها وبُعد الناس عنها، فعن حسان بن عطية رحمه الله قال: «ما ابتدع قومٌ بدعة إلا نزع الله منهم من السنَّة مثلها؛ فإن الإقبال على البدع موجبٌ لضياع السنن وخفائها».

❸أنها تنطوي على عقيدةٍ في نفوس أهل البدع؛ أنَّ في السنَّة نقصًا وعدم وفاء، وما أخطر ذلك، فإن الله -عز وجل- يقول: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) [المائدة:3].
ومِن مشهور كلام الإمام مالك رحمه الله قوله: "مَن ابتَدع في الإسلام بدعةً يراها حسنة، فقد زعم أنَّ محمدًا خان الرِّسالة؛ لأنَّ الله تعالى يقول :﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]؛ فما لم يكن يومئذ دِينًا، فلا يكون اليوم دينًا"، فباب التشريع قد أُغلِق بموت النبيِّ -ﷺ-، وانقطع وحْي السَّماء.

❹ أنها توجِب التباس أمر الدين بين الناس، ولاسيما بين العوام وأشباههم؛ فيظن الناس من الدين ما ليس منه، وكذلك يظن المسيء أنه محسنًا، والله تعالى يقول: (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) [الكهف:103-104].

❺أنَّ البدع توجِب عقوبة الله -سبحانه وتعالى- والطرد يوم القيامة من الشرب من الحوض المورود؛ حوض نبينا المصطفى ورسولنا المجتبى صلوات الله وسلامه عليه. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما أن النبي -ﷺ- قال: " يُجَاءُ بِأُقْوَامٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُصَيْحَابِي!! فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ".

❻ عدم توفيق المبتدع للتوبة: كما جاء في حديث أنس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "إِنَّ اللَّهَ حجبَ التَّوبةَ عن كلِّ صاحبِ بدعةٍ حتَّى يدعَ بدعتَه ". صححه الألباني

وعن الحسن -رحمه الله- قال: "لا يقبلُ الله لصاحب بدعةٍ صوماً ولا صلاة ولا حجّاً ولا عمرة حتى يَدَعَها".

❼أنها موجبةٌ للتباغض والتدابر والفُرقة؛ ولهذا يقال «أهل السنة والجماعة»، ويقال «أهل البدعة والفرقة»؛ فإن السنَّة تجمع والبدعة تفرّق، ولهذا قال أحد أهل العلم في معنى قول النبي -ﷺ- " لَا تَبَاغَضُوا": في ذلك نهيٌ عن البدعة؛ لأن وجودها يوجِد البِغضة.

وعن ابنِ مسعود -رضي الله عنه- قال: خَطَّ رسولُ الله -ﷺ- خطّاً، فقال: "هذا سبيلُ الله، ثم خطَّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: وهذه سُبُلٌ على كل سبيل منها شيطانٌ يدعو إليه، ثم تلا:

(وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [الأنعام:153].

فالبدعُ تهدِم الدين، وتُفسِد ذات البَيْن، وتُوجِبُ غضبَ الله -عز وجل- وأليم عقابه في الآخرة، وتعمُّ بها العقوبات في الدنيا، وتتنافر بسببها القلوب، وتتضرَّر بها مصالحُ الناس، وتُورثُ الذل والهوان، ويتسلَّقُ بها أعداء الإسلام على المسلمين، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "وجُعِلَت الذِّلَّة والصَّغار على من خالَفَ أمري".

هل يوجد بدعة حسنة وبدعة سيئة؟

لا يوجَد في الدِّين بِدعة حسنة وبدعة سيِّئة؛ لأن رسول الله -ﷺ- قال: "كل بِدعة ضلالة، وكل ضلالة في النَّار". رواه مسلم

وثبت أيضًا عن رسول الله -ﷺ- أنه قال: ((عليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسَّكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكم ومحدثات الأمور؛ فإنَّ كل مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة))؛ [رواه أبو داود وغيره، وصححه الألباني].

فما أسْلَمَ أنْ نتَّبع منهج المعصوم -ﷺ- الذي لا ينطِق عن الهوى، والذي قال عنه صحابته: "لقد تركَنا رسولُ اللهِ -ﷺ- وما طائرٌ يطيرُ بجناحَيه إلا عندنا منه عِلْمٌ"؛ أخرجه ابن حبان، وصحَّحه الألباني، وخير سبيل هو السبيل الذي أمرنا به ربُّنا عز وجل، فقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: 7].

ولهذا جاء في الصحيحين عن إبراهيم بن يزيد التيْمي عن أبيه قال: خطبنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان مما قال في خطبته قال: قال رسول الله -ﷺ-: "المدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا".

قال الفضيل بن عياض – رحمه الله -: من عظم صاحب بدعة فقد أعان على هدم الاسلام، ومن تبسم في وجه مبتدع، فقد استخف بما أنزل الله عز وجل على محمد -ﷺ-، ومن زوج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها، ومن تبع جنازة مبتدع لم يزل في سخط الله حتى يرجع. انظر كتاب السنة للبربهاري رحمه الله

قال الإمام ابنُ كثير -رحمه الله-: هذه الآية عامةٌ في كل مَنْ عَبَدَ الله على غير طريقة مرضيةٍ، يحسبُ أنه مصيبٌ فيها وأنَّ عملَه مقبول، وهو مخطئٌ، وعمله مردود، كما قال تعالى: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً) [الغاشية:2-4].

فهؤلاء أتعبوا أنفُسَهم في العملِ والخشوع، وكانت عاقبتَهم النارُ الحامية؛ لأنَّ عملهم على غير أساس من الشرع الإلهي.

وقال الفضيل بن عياض – رحمه الله -: إذا رأيت رجلا من أهل البدع فكأنما رأيت رجلا من المنافقين.

قالَ رَسُولِ اللهِ -ﷺ-: "النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ ما تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي ما يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي ما يُوعَدُونَ".

وهذا تحذير مِن ظُهور البِدعِ والحوادثِ في الدِّينِ والفِتَنِ فيه بعد ذهاب صحابة رسول الله -ﷺ- فمن تمسَّك بالكتاب والسُّنة فقد أخذ بأسباب الرَّحمة، وفاز بالعصمة، وأَمِن من الضَّلالة والفتنة.

شَهِد الله بالفلاح لِمن آمن به ونصره واتبعه، فقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:157]

وتوعَّد مخالِفيه بالفتنة والعذاب، فقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:63]

وقال -ﷺ-: "فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي".

فلا نجاة لنا إلا بركوب سفينة النجاة وهي شرع الله -عز وجل-: كتابه وسنة رسوله محمد -ﷺ-، ولقد أحسن القائل:

شــرع الرسـول سـفيـنـــة مأمونة *** من يعتـصـــم بركـــوبـــها يـــوماً نجـا

ومحجة للسالكين فمن يســـــــر *** فيها على نهـــج الهدى بلـغ المنى

شمس الظهيرة في نهار صائف *** من يستضئ بنورها فقد اهتدى

ونختم بوصية رسول الله -ﷺ- لنا وعن العِرْباض بن سارِيَة رضي الله عنه قال: وعَظَنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظةً بليغة، وَجِلَت منها القلوب، وذَرَفَت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظةُ مُودِّعٍ فأوصِنَا، قال: ((أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ فَتَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ)).

فأرجو أن يكون هذا هو منهاجنا جميعًا؛ لأنَّ به نصرة هذا الدِّين العظيم بعون الله وقوته، والحمد لله رب العالمين على ما هدانا إليه، ونسأله الثَّبات على الإسلام والسنَّة، إنه سميع مجيب.

المرجع: الأربعين النووية شرح الشيخ ابن عثيمين رحمه الله بتصرف